

دور الثقافة واللغة

في إعادة هيكلة الدولة

د. بلقاسم حديد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه،
وبعد فإن الكلام في دور الثقافة واللغة في إعادة هيكلة الدولة يقتضي النظر في
أمور:

أولا الثقافة:

حقيقة الثقافة: أما في اللغة العربية فهي بمعنى سرعة الأخذ والممكنة فيه، سواء
تعلق بالمعاني كما في التعلم ونحوه، أم بالأعيان؛ فيقال في الأول: قَلْبٌ ثَقُفٌ،

دور الثقافة واللغة في إعادة هيكلة الدولة..... ج. بلقاسم حديد
أي سريع التعلم والتفهم، وفي الثاني: ثَقَّفْتُ فلانا بموضع كذا أي: أخذته أخذاً
سريعاً، وظفرت به⁽¹⁾.

وأما في الاصطلاح: فالشائع أنَّ "الثقافة" بمفهومها المعاصر أمر وافد ولم
يعهد في التراث العربي والإسلامي، ولهذا نجد أن كل ما عرفت به الثقافة -
وقد قيل أنه يزيد على مئة تعريف - أنه مجلوب من الثقافة الغربية ومن سار في
فلكها، حتى إن تعريف الثقافة في العربية لا يجري على استواء إلا مدعوماً بما
يقابل لفظ الثقافة في اللاتينية⁽²⁾.

وهذا في الحقيقة لا يجدي؛ إذ هو يجري في كل اصطلاح محدث لدلالة
لفظ عن موضوعه في اللغة الواحدة فضلاً عن لغات شتى .

ثم إذا قيل في تعريف الثقافة بأنها "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم
الاجتماعية التي تؤثر في الفرد عند ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط
سلوكه بأسلوب الحياة والوسط الذي ولد فيه"⁽³⁾ ونحو هذا؛ فإنه لا يخرج عن
تصرفات الإنسان وهي لا تخرج عما تنصّب به نفس الإنسان من الأخلاق، وهي
إما غير مكتسبة وهي ما يسمى بالفطرة أو الطبع ونحو ذلك، وإما مكتسبة وهي
ملتحقة بسابقتها؛ لأجل الاستمرار عليها واعتيادها، ومن هنا قالوا: العادة طبع
ثاني، وليس في هذا الذي قلنا فصل بين الجانب المعنوي والجانب المادي أو
العيني للثقافة كما قد يُظن؛ إذ هما متلازمان، لكن ينبغي أن يفرق بين ما هو

1 - انظر: كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: 117، دار إحياء التراث
العربي، و معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، ج 1 ص: 196، ط 1: 1420 - 1999، دار
الكتب العلمية، بيروت .

2 - انظر مشكلة الثقافة لمالك بن نبي ص: 24 فما فوق، ترجمة عبد الصبور شاهين، طبعة معادة 1420 -
2000 من ط 4: 1984، دار الفكر، دمشق - دار الفكر المعاصر، بيروت .

3 - هذا تعريف مالك بن نبي - رحمه الله -، انظر: مشكلة الثقافة ص: 74 .

دور الثقافة واللغة في إعادة هيكلة الدولة..... د. بلقاسم حديد

أصلي وما هو تبعي؛ فما كان له أثر مستقل في الثقافة فهو أصلي، وإلا فهو تبعي؛ ومن هذا المعارف المكتسبة والصنائع ونحو ذلك؛ ولهذا كان صنيع كثير من علماء الغرب ممن أدرج ذلك في تعريف الثقافة مدخولا⁽¹⁾.

فما ذكرنا قبل من أن الثقافة نتاج التصرفات بشقيها لا إشكال فيه، وهذا ما لم يزل ينبه عليه كثير من علماء الإسلام، ومن أبرزهم ابن خلدون - رحمه الله -؛ إذ قال في مقدمة تاريخه: "الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقا وعادة منزل منزلة الطبيعة والجملة" ⁽²⁾.

فقوله هذا - وهو سابق في بابه - لا يختلف عما يسمى في العصر الحديث عند الغربيين: وحدة النظام الاجتماعي أو الطرق الشعبية ونحو ذلك مما يشير إلى الانسجام بين مقومات الإنسان ومقومات المجتمع في كيان واحد ⁽³⁾.

فمقتضى الثقافة عند الغربيين وأشياهم أمر مستقر عند العرب والمسلمين لكن بالفاظ آخر كالآداب والأخلاق وما جرى مجراها، بل إنها هي نفسها لم تسلم من اصطلاحات حادثه، فإن الأدب مثلا يطلق عند المتأخرين على العلم بالنحو والشعر وعلوم العرب وما إلى ذلك، بينما الأدب عند الأوائل هي بمعنى الأخلاق⁽⁴⁾، غير أن هذا نفسه لا يحسن هنا بغير تقييد إذ الآداب والأخلاق منها حسن ومنها قبيح، ولهذا لا يرد في لسان الشرع والعرب والمسلمين الأوائل إلا مقيدا .

1 - ومن أبرز من عرف الثقافة بذلك "تايلور" ت: 1871 م، وقد تأثر به كثير ممن جاء بعده . انظر: الثقافة والشخصية لـ: د. سامية حسن الساعدي، ص: 35 فما فوقها، ط: 2: 1983، دار النهضة العربية، بيروت .

2 - تاريخ ابن خلدون ج 1 ص: 103، ط: 1: 1427 - 2006، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

3 - انظر: الثقافة والشخصية لـ: سامية حسن الساعدي ص: 63 .

4 - انظر: شرح أدب الكاتب لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، ص: 19، دار الكتاب العربي، بيروت .

استمداد الثقافة: تقدم أن الثقافة هي جملة تصرفات الإنسان في معتاد الأحوال بين بني جنسه، وهي كما رأيت قسمان: قسم غير مكتسب، وهو كل ما فطر عليه الإنسان، وقسم مكتسب وهو ما سوى ذلك، وكلا القسمين لا غنى به عن الدين، وأحوجهما إليه المكتسب، إذ لا سبيل إلى النجعة فيه إلا بوحى من السماء؛ لاختصاصه بالشرع في جملته وتفصيله غير ما وكل منه إلى العرف بشرطه، على حين اختصاص الشرع بغير المكتسب إنما هو في تفصيله وإلا لم تقم حجة بشرع على أحد وهو مما لا يُعَرَّج عليه؛ لأن المرء لا يسلم إلا بما يعلمه لزوماً⁽¹⁾.

وهذا الذي ذكر يبين لك أن مادة الثقافة: الفطرة والدين، وما سوى ذلك فمرده إلى الدين؛ ولذلك لم تُلَف الثقافة الحق إلا في كنف الدين الحق؛ فإن وقع فيه تفريط، أو كان على غير الصواب لحقها من الفساد بحسب ذلك.

خصائص الثقافة: وإذا كان مقتضى الثقافة لا ينفصل عن الأخلاق بقسميها المكتسب وغير المكتسب فإن خصائص الثقافة من خصائص ما تتركب منه: فأما غير المكتسب وهو المستقر في الفطرة فمن خصائصه⁽²⁾:

أنه دائم، فلا يتبدل ولا يرفع، لكن قد يلحقه التغيير والتعطيل، وأنه عام في جميع الناس، وأن مقتضاه يحصل من غير حاجة إلى الغير إذا سلمت الفطرة عن المعارض، وكذلك خلوص اقتضائه لجانب الحق مقتضاه.

وهذه الخصائص الأربع متلازمة، ومن دونها لا تقوم الحجة على الشرع على أحد، وهو خلاف الأدلة القطعية شرعا وعقلا وفطرة.

1 - انظر: موارد التكليف ومصادره فيما يقتضيه الشرع وما لا يقتضيه، ل: بلقاسم حديد ص: 93 فما فوق، ط: 1: 2009، دار الكلم الطيب، دمشق.

2 - انظر المصدر نفسه ص: 110 فما فوق.

دور الثقافة واللغة في إعادة هيكلة الدولة..... د. بلقاسم حديد

وأما المكتسب فهو كذلك إذا كان ثابتاً بشرع لاسيما الأمور التعبدية والأصول العلمية، ولا يشذ عن هذا سوى ما وكل إلى اجتهد المجتهدين على عين من الشريعة .

وتعلم من هذا أن الثقافة إذا كانت تحت حراسة الدين الحق فإنها لا تتبدل، وأما ما يلحقها من التغيير عند الطوارئ فما يُفْتَأُ يُنْفَى عنها .

فإن قيل الشائع في الكتابات المعاصرة عن الثقافة أن من خصائصها أنها متغيرة، وأنها نتاج إنساني ترثه الأجيال المتعاقبة، وأنها متزايدة بمضي الزمن وما من هذا مما يتعارض مع ما قلتم⁽¹⁾.

قلنا: لا شيء من ذلك بحمد الله يعارض ما ذكرنا لأمر:

أولها: قولهم إن الثقافة متغيرة، يراد به أنها متبدلة؛ فعند تفسيرهم ذلك يقولون: " بأن الثقافة مُتَغَيِّرَةٌ بما تضيفه الأجيال ... وبما تَسْتَبْعِدُهُ وَتَحْذِفُهُ " ⁽²⁾ وهذا لا يتلاءم مع القول بأن الثقافة مما يتوارثه الأجيال وأنها متزايدة بمضي الزمن؛ لأنه ما لم يكن هناك ضابط فمتى جاز التبدل في شيء جاز في مثله، ويضاف إلى هذا: أنهم يقولون أن للثقافة عناصر لا تختلف فيها أمة عن أخرى مما دعا بعض علماء الغرب أن يطلق عليه "النموذج العالمي"⁽³⁾ وهذا يوافق قولهم: الثقافة نتاج إنساني لا مدخل لذكاء العقل فيه، غير أن هذا كثيراً ما يُنَاقَضُ ويُجَعَلُ إبداعاً إنسانياً⁽⁴⁾.

1 - انظر: الثقافة والشخصية لـ: سامية حسن الساعاتي، ص: 73 فما فوقها .

2 - المصدر نفسه ص: 72 .

3 - المصدر نفسه ص: 95-96 .

4 - انظر: الثقافة في العالم العربي الإسلامي، رضوان السيد - أحمد برقاي، ص: 28، ط 2: 1422 - 2001، دار الفكر، دمشق - دار الفكر المعاصر، بيروت .

دور الثقافة واللغة في إعادة هيكلة الدولة..... د. بلقاسم حديد

ثانيها: أنهم يدرجون في الثقافة العنصر المادي، وقد رأيت قبل أنه من الأمور التبعية .

ثالثها: أنهم لا يدرجون في الثقافة العنصر المعنوي: الفطرة والدين، وهذا غريب ممن لا معرفة له بالدين؛ إذ كما رأيت لا مهرب له من الإقرار بالفطرة في الجملة، وهو أغرب ممن سواهم، على أن الدين ملئت جميع الأمم وإن اختلفوا في مصدره كما هو معلوم⁽¹⁾.

أهمية الثقافة: أهمية الثقافة الحق من أهمية الدين؛ إذ باستقامته تصلح الفطرة وينقاد أمرها، وهما كما مر بك مادة الثقافة، ولا يخفى على عاقل أنه لو لم يكن في ذلك إلا تحقق سعادة الإنسان في الدنيا ظاهرة وباطنة لكان مما ينبغي طلبه والحرص عليه، فكيف وفيه سعادة الدنيا والآخرة معاً؛ ولهذا كان ظنُّ أن تكون أمة في هذه الحياة بمعزل عن الدين أمراً مستنكراً عقلاً وشرعاً .

ثانياً: اللغة: وهي في حدها عند أهل هذا الشأن أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم⁽²⁾ وهذا لا بد فيه من قيد وهو أن يقال: اللغة جملة أصوات منتظمة في ألفاظ خاصة للدلالة عما في النفس؛ إذ الحيوان الأعجم هو الآخر له أصوات يدل بها على أغراضه .

وهذا الذي ذكرنا ونحوه في حد اللغة هو ما كان عليه الأمر عند الأوائل وأما تخصيص اللغة بعلم معاني الألفاظ وربطها بأصولها، وعلم القواعد بالنحو والصرف، وعلوم البلاغة من علمي المعاني والبيان ونحو ذلك فهو اصطلاح متأخر.

1 - انظر للمزيد سؤال الأخلاق لـ: طه عبد الرحمن، ص: 40، 43، ط2: 2005، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء - بيروت) .

2 - انظر: الخصائص لأبي الفتح بن جني، ج1 ص: 33، ت: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت .

أهمية اللغة: اللغة شعار أي أمة من الأمم، وجماع فكرها و عصبه الذي تتحد به في صور التفكير وطرق التعبير؛ إذ المشاكلة والمماثلة - كما يقول أهل العلم بالطبائع - داعية القرب واللحمة والقبول. وهذا شأن كل لغة، وقد يرتفع ذلك في لغة تُعْجِزُ فيه غيرها، كما في اللغة العربية؛ فإنها شريفة مُشْرِفة؛ إذ لا يخفى على عاقل أنها أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا⁽¹⁾ وأوفقها بالفطرة، وهذا لا يجهله من له شيء من المعرفة باللغات، بل ويقر به أعداء الإسلام. كما أنها لغة القرآن، ولغة السنة، ولا سبيل إلى شيء مما ورد فيهما من الأحكام المطلوبة فهما وإفهاما إلا بوساطتهما، والمسلم مطلوب منه فهم القرآن وفهم السنة تعبدا في نفسه، وتبليغا لغيره بقدر المستطاع وهذا ظاهر في الشريعة ومنبه عليه عند أهل العلم في كل عصر⁽²⁾.

دعائم اللغة: ومن هذا الذي قدمنا يتبين أن اللغة لا يستقيم لها حال إلا بأمور:

أولها: حرص الأمة عليها وإظهارها قولاً وعملاً في شتى مناحي الحياة، وغير خاف أثر هذا حتى على غير أهل اللغة المقيمين بين أهلها من الملل والأعراق الأخرى؛ ولهذا كان أول ما تسعى إليه الأمم المعتدية على غيرها من الأمم متى ما غلبت عليها أن تطمس لغتها؛ لأنه فيه قطعها عن سلفها وخمود شعاعها؛ فيسهل الاستحواذ عليها⁽³⁾.

1 - انظر: كتاب الأم لأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ج 1 ص: 17، ط 2: 1425 - 2004، دار الوفاء، المنصورة.

2 - انظر: المصدر السابق ص: 20، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ص: 207، ت: محمد حامد الفقي، ط 2: 1369 هـ، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.

3 - انظر: وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ج 3 ص: 123 فما فوق، ط: 1423 - 2003، دار الكتاب العربي، بيروت.

دور الثقافة واللغة في إعادة هيكلة الدولة..... د. بلقاسم حديد

ثانيها: الدين وهو أقوى دعامة للغة لما له من قوة الإلزام والالتزام، ولهذا لم تزل اللغة العربية عالقة في نفوس أهلها جارية على ألسنتهم ولو في أدنى أحوالها، حيث كانت الوسيلة إلى عبادة الله تعالى، وإلى فهم الدين، غير أنها لا تكون بالموضع المرموق عند المؤلف والمخالف إلا بأن يجتمع عليها همم الأمة جميعا سيدها ومسودها في العلم والعمل في أي شأن من شؤونها وإلا قلت الجدوى إن لم تزل ووقع التجاذب بين أطراف الأمة . وفي ذلك ذهاب قواها وإغراء الأعداء بها⁽¹⁾.

ثالثها: الاستغناء عن الغير في كل ما للأمة إليه حاجة في إطابة الحياة خاصة وعامة؛ لأن الحاجة ضرب من العبودية⁽²⁾ وهي لا تخلو من مكروه واقع أو متوقع بالإقامة عليها وفيها المشقة أو بتبديلها لكل سبيل، وفيه ذهاب العرض والأرض ويأبى الله إلا تكون الريادة لعباده المؤمنين .

ثالثا: هيكلة الدولة

المقصود بالهيكلة هنا أحد معنيين:

أولهما: المعروف في لغة العرب: حال متوسط بين الإجلال والمخافة⁽³⁾، يكون حيال كبراء الناس ممن يتسم بمحاسن الأخلاق وكريم الشيم .
وثانيهما: ما جرى عليه عرف العصور المتأخرة: وهو المخافة والرهبنة بالقهر والغلبة، والمبالغة في إقامة المراسم والاحتفال ببهرج المظاهر⁽⁴⁾.

1 - انظر: وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ج3 ص: 126 .

2 - انظر: أصول النظام الاجتماعي لمحمد الطاهر بن عاشور ص: ، ط1: 1421 - 2001، دار النفائس، الأردن .

3 - انظر: كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: 1026، ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور ج1 ص: 789، دار صادر، بيروت.

4 - انظر: درر السلوك في سياسة الملوك لأبي الحسن علي بن حبيب الماوردي ص: 78، ت: عبد المنعم أحمد، ط: 1417 - 1997، دار الوطن، الرياض .

دور الثقافة واللغة في إعادة هيكلة الدولة..... د. بلقاسم حديد

والمعنى الأول لا يتأتى إلا من قبل الدين متى ما نهض به المصلحون من أولي الأمر على ما ينبغي من القوة والأمانة، والقوة في كل شأن بحسبه؛ ففي الحرب هي الشجاعة والدربة على فنون القتال، وفي الحكم معرفة العدل والحكم به والقدرة على تنفيذه، وفي المال التمكن من طرق تحصيله وطرق توزيعه وهكذا، والأمانة ترجع إلى خشية الله وحده وهذان - أعني القوة والأمانة - هما أساس الملك كما دل عليه الشرع والعقل⁽¹⁾.

وأما المعنى الثاني: فمعتمده القوة وهذا هو الغالب على أكثر ملوك الأرض، وبين هاتين المرتبتين مراتب كثيرة وذلك بحسب البعد عن الدين .

أثر الثقافة واللغة في هيكلة الدولة:

أما أثر الثقافة: فقد رأينا أنها جملة الأخلاق، هي لا يستقيم أمرها في الأمة إلا بالدين الحق، إذا نهض به ولادة أمورها؛ لاتحاد الباعث إلى ذلك في نفوسها، وذهابه بأسباب الاختلاف من الكبر والحسد ونحوه، فإذا كان ذلك ساد الأمن في الأمة وانصرفت عقولها وهممها إلى الأعمال النافعة؛ فانتظم معاشها، واستمر لها ذلك ما وفّت بمراسم دينها، وإلا اختل الأمر، ولم يزل الخلل ما لم يُرفع بمراجعة ما وقع التفريط فيه من الدين، وليس يُغني وضع القوانين وفرض الزواجر؛ لمشقة القيام بها، وصرف الهمم عن بلوغ حميد غاياتها، لاسيما إذا كان ما وضع من القوانين وسن من الزواجر متسما بالغلظة والقساوة، وربما ظن من ظن منهم أن ذلك صرامة فيذهب به كل مذهب وليس كذلك؛ لأن الصرامة فطنة إلى مكامن المطالب ومعرفة بها على حقائقها حتى لا يشتبه السقيم بالسليم ولا الخالع بالطائع⁽²⁾، ويكون ما لا يحمد من العواقب .

1 - انظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية ص: 25 فما فوق، ط: 1411-

1991، دار الآفاق الجديدة، المغرب .

2 - انظر المصدر نفسه .

وأما أثر اللغة: فقد رأينا قبل أهمية اللغة في توحيد أهلها في العلم والعمل؛ لاتحاد البواعث الذاتية، والدينية، والمعاشية؛ وهي بواعث يُكْمَلُ بعضها بعضاً، ولا يُنال السؤدد إلا بتوافرها، غير أن هذا لا يكون في أمة إلا بقيام مصلحين منها به لا يتغون بإصلاحهم شيئاً من عَرَض الدنيا⁽¹⁾؛ إذ غير خاف أن المصلحين وهم ولاة الأمور وأعوانهم كل بحسب موضعه من شروط أي نهضة في أمة من الأمم، فضلاً عما ذكرنا من البواعث؛ لأن أكثر الخلق إنما يحتذون في تصرفاتهم حذو من يحكمهم؛ حتى قيل: الناس على دين ملوكهم؛ لأن من يحكم غيره لا يتمكن من مراده في رعيته إلا بمن يعينه منهم عليهم، فإذا كانت وجهة ولي الأمر مراعى فيها لغة الأمة ودينها وكفايتها فهو المرغوب من أحوال الأمة فيها، وإلا فخلافه كائن لا محالة؛ لاختلاف الوجهات والبواعث؛ ومن هنا ينشأ الصراع والفتن في الأمة الواحدة، واللغة وإن كانت لا يَمَحِي أثرها إذا كانت في رعاية الدين لاسيما إذا تعلق تمام الدين بها كما في اللغة العربية والدين الإسلامي فإن سيادتها لا تتم من دون سائر العوامل أو الدعائم أو أهمها؛ ولهذا لما كان المسلمون في أَوْج قوتهم سادت اللغة العربية غير أهلها في العِرْق والملة، فلما تخلى المسلمون عن أسباب قوتهم زوجمت اللغة العربية في عقر دارها؛ ولهذا فما يُرى من اضطراب في حال الأمة في شتى مجالات الحياة إنما مرجعه إلى تفريطها في إحدى أهم خصائصها فضلاً عن الخصائص الأخرى لاسيما الدين⁽²⁾.

إعادة هبة الدولة:

1 - انظر: الخلافة ل محمد رشيد رضا ص: 35 ، الزهراء للإعلام العربي، وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ج3 ص: 123 فما فوق.

2 - انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص: 207 ، و الإسلام في مفترق الطرق ل: د. أحمد عروة ص: 105 فما فوق، نقله عن الفرنسية عثمان أمين، ط: 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .

دور الثقافة واللغة في إعادة هيكلة الدولة..... د. بلقاسم حديد

وعلى ما تقدم من بيان أثر كل من الثقافة واللغة في شأن الأمة وهبتها سلبا وإيجابا يظهر للعيان بما لا يحتمل أنه لا سيادة لأمة بمعزل عن الأخلاق، ولا تمام للأخلاق إلا بقيام الدين الحق، ولا تمام للدين الحق إلا باستعادة لغته مكانتها بين أهله ؛ لأنه إذا كان اتحاذ الأخلاق وتوافقها في الأمة مدعاة إلى شيوع الألفة بينها واستتاب الأمن فيها وظهور مجدها، فإن اختلاف الأخلاق وتنافر مدعاة إلى أضرار ذلك؛ لأن اتحاد القوى بناء واختلافها هدم⁽¹⁾.

وهذا الذي قلناه في الثقافة أو الأخلاق نقوله في اللغة إذ هي أمور بعضها من بعض، فمن شرط ظهور اللغة ثباتها في العلم والعمل، وفي تحقيق الغايات بها من غير مزاحمة من غيرها؛ إذ اللغة جامع شتات فكر الأمة، ومظهر من مظاهرها الخاصة بها؛ لأن التفكير من التعبير ورجوع هذا إلى الأخلاق وتأثيره فيها غير خاف على عاقل، وهذا من أهم غايات الأمم المتحضرة، ولهذا فإعادة للحمية بين الأمة وبينها وبين ولادة أمورها يقتضي إزالة الأسباب التي أفضت إلى انفصام تلك الحمية وفق إصلاح حقيقي، وهذا لا مناص منه وإن أفضى إلى الصد عن بعض غايات الأمة التي كان يمكن أن تبلغ، وإهدار بعض قوى الأمة التي كان يمكن أن يُنتفع بها لولا ما عليه الأمة من حال .

وفي الجملة فإن الهيبة لا يستقر لها قرار إلا بما يجمع لا بما يفرق والجامع اتحاد الأمة جميعها في خصائصها الخلقية واللغوية والمعاشية وهي كلها لا غنى عنها، لاسيما الخلقية على ما مر بك .

1 - انظر: مشكلة الثقافة لمالك بن نبي ص: 90-91 .

الخاتمة

وبعد: فإن دور الثقافة واللغة في إعادة هبة الدولة مرجعه إلى أمور :

أولها: أن الثقافة وهي جملة الأخلاق أو الآداب ونحوها، من عناصرها الفطرة والدين، وكلاهما عام في الناس دائم فيهم لا يبدل لكن قد يغير؛ إذ لا تنال السعادة في الدنيا والآخرة إلا بهما .

ثانيها: أن اللغة وهي وسيلة الخطاب وشعار أي أمة من الأمم وصلة ما بينها فضلا عما قد تختص به لغة كأن تكون أوفق بالفطرة أو متوسل بها إلى دين الله تعالى كما هو الحال في اللغة العربية .

ثالثها: أن أثر الثقافة واللغة في هبة الدولة يظهر في استتباب الأمن وظهور الأعمال النافعة وحصول الرفاه إذا ما صلحت أخلاق الأمة، وارتادت وجهة واحدة لا تمايز بين طبقاتها، كما يظهر أثر ذلك في اتحاد تفكير الأمة وتعبيرها بحسب عنايتها بلغتها، وهذا من لوازم ما قبله، فإذا فرطت الأمة في شيء من ذلك كان من سيء الآثار بحسب تفريطها.

ولذا فإن دور الثقافة واللغة في إعادة هبة الدولة ركن في أي إصلاح؛ إذ مرجعهما في حقيقة الأمر إلى ذات الأمة لا إلى ما يجانبها؛ لأن أثر هذا طارئ بخلاف ذلك فإنه قائم ما روعيت فيه شروط قيامه .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .